مرثية شهيد

(محمد ابراهيم الحبال .. الذي قاتل بعين واحدة وبيد واحدة)

١ ـ الساعة السادسة

في الساعة السادسة بعد الظهر
عربة الدم تدفعها الرياح
الساعة السادسة بعد الظهر
الصمت يبتلع الشفق الوردي
الساعة السادسة بعد الظهر
نقالة وقطن ومنديل دمع
الساعة السادسة بعد الظهر
الرصاص يزغرد فوق الرمال
الساعة السادسة بعد الظهر
والقذائف تصدح كالبلابل
الحمامة تصارع البرابرة
الساعة السادسة بعد الظهر
الحمامة تقاتل ودماؤها تنزف
الساعة السادسة بعد الظهر
المنديل مبلل بالدم فوق القلب
الساعة السادسة بعد الظهر
الرفاق في الخنادق يغنون البحث
الساعة السادسة بعد الظهر
الوحوش الرمادية تهدر من بعيد
الساعة السادسة بعد الظهر
محمد يتقدم وبيده القنابل التي تزغرد
الساعة السادسة بعد الظهر
الصمت قد انفجر والريح تدور
والغبار ثار كالافلاك
وقد اخترق محمد خط النار
والشمس تلفه برداء ابيض
والقى بقذائفه فصدحت كالعصافير
وعاد يحمل في صدره الرصاص والرمل
وسقط على الارض وقد اشتعلت في صدره الجراح
وذاب دمه مع برتقال الشمس
الذي يغطي السطوح
ولامس النسيم جبهته وهو يغادر صدره
اه ... يا لتلك الساعة
الساعة السادسة بعد الظهر
ففيها اضاءت الشموع
ظلام الليل ..!

٢ ـ المصباح والجسد

السرير يئن والعيون لهيفة
والمصباح يضيء جسد محمد الماثل
المصباح يضيء الدم الذائب
من الجسد الذي اختلط بالشوك
المصباح يضيء الجبهه
التي لامسها دفء الربيع والمحبة
المصباح يضيء العيون
التي خرجت منها اسراب الحمام
المصباح يضيء الوجه الذي غرس فيه
المصباح يضيء الوجه
الذي غرس فيه النور
آه ... يا للمصباح الذي يشهد حياة محمد
وهي تستخرج مع الرصاص
تذوب قطرة فقطرة
تتساقط على الصدر
على زجاج الروح الهائمة
كجواد يسابق الريح
الى ينابيع الحرية والانطلاق
لقد حدقت فيه الوجوه الناعمة
وامتدت الايدي تحرك المباضع
وخفقت نسمة فحركت القطن الطبي
وداست الارجل بقايا دماء جافة
وفتحت اسطوانات الاكسجين
وارتفع ازيز الماء الساخن
الوجه يصفر كالاقحوان
والعرق يتجمع كالندى على جبينه الرحب
والالم يسكب خيوطه العتيقة في جسده
والهواء يغادر صدره الجريح لاهثا
ودماؤه تنزف ولا يصدها شيء
رماد الموت يغطي الوجه
والهواء قد جف
والغيبوبة اطبقت
والثواني اصبحت اعواما
والنور مات واختنق
والممرضة اجهشت
والموج ناح
والموت اقبل

٣ ـ سأظل اغنيك

يا دم محمد المتخثر
ايها الطائر الذي يرفرف في قلبي
يدغدغ الامل في صدري
أيتها المحبة الصغيرة المزروعة في الارض
يا حب الحياة والحرية
يا حب الزيتون الحزين
يا نسيم الجبل والسهل
يا صخره الورد والليلاك
سأظل اغنيك .. اغنيك
ايتها العيون الصخرية
يا عيون الاطفال الرمادية
يا ثدي الحليب الخالي من قطرة
يا شهقات الطفل المريض
يا قمر الالام والسحب
يا مطر القلوب الرحيمه
يا خشبة الصليب
سأظل اغنيك ... اغنيك
ايتها النغمة المتلاشية على الاغصان
يا بنفسج الخوف الذي امتلك عيون الاطفال
يا دم محمد المتخثر ..!
يا شعلة تضيء عصافير الامل
يا وردة زرعتها يد الريح
لتورق المحبة
يا فرح الرعشة المقدسة
سأظل اغنيك .. اغنيك
ايها الزورق المغطى بالاسى
يا حب الاجساد الجريحة
يا حب الندى والياسمين
يا سنبلة الرجاء
يا من اعطيت الدم
ووهبت الحياة
لتورق المحبة
يا ورقة النور التي كتبت القدر
سأظل اذكرك ..
سأناديك
سأناديك
من السهل والجبل ...
من الصخر والبحر ..
وسأحفر لك في قلبي غصن زيتون
سأذكرك
مع ارتعاش الاوراق
مع الريح التي حملت عبير صوتك
انني اغنيك
واتذكر نسيما حزينا
يخفق مع الراية
التي لن تسقط !

سمير تنير